عربي ثقافي مليء بالبهاء

فؤاد الفارسي: تضافر الجهود والعمل بروح الفريق الواحد يمكننا من التصدي لكل توجه عدائي وكشف زيفه

التويجري: من مقتضيات التنوع الثقافي احترام الخصوصيات الثقافية والسمات الحضارية للأمم والشعوب

المهدي امبيرش: الصراع الذي يدور في العالم الآن صراع ثقافي

أسمى الخضر: الثقافة عمود فقري لعملية التنمية وقادرة على توحيد الهوية العربية الإسلامية الإنسانية

القاتمة على العالم بأسره.. الأمر الذي يتوجب معه الحيطة والحذر لنكون في مستوى المسئولية المناطة بنا لعلنا نسهم ولو باليسير لنضئ شمعة على هذا الدرب الطويل لتحفيز كل قوى الخير والأمن والسلام للاسهام بكل ما يستطيعونه من أجل مستقبل عالمي أفضل تسعد به وله البشرية جمعاء.

وإني على يقين أننا قادرون إذا ما تضافرت الجهود وخلصت النيات للدفع نحو هذا التوجه الطيب الذي ألمح منطلقاته من خلال الوثيقة المتعلقة بالتكامل بين السياسات الإعلامية والثقافية في الوطن العربي (الوثيقة الإطارية) التي إذا ما وضعت موضع التطبيق العملي وتفعيل ما أوصت به لا بد أنها تفضي إلى جملة من مردودات إيجابية وبناءة، وكذلك من نافلة القول الإشارة إلى الأهمية القصوى التاريخية والزمانية للموضوع الرئيسي لمؤتمرنا هذا.

وختاماً أكرر شكري وتقديري لبلدنا الثاني الجمهورية اليمنية الشقيقة قيادة وحكومة وشعباً على حسن الاستقبال وكرم الضيافة، وعلى التسهيلات غير المحدودة التي يسرت على المؤتمرين عقد اجتماعهم في رحاب العاصمة اليمنية صنعاء التي تزخر بكل ما ينبئ عن الأصالة والإبداع والتاريخ الموغل في القدم فلها ولأهلها ولمن حولها من المدن والقرى المزدهرة وناسها الطيبين التي تشكل اليمن الشقيقة مزيد الاحترام والتقدير والأمل بمستقبل واعد أكثر اشراقاً بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم بفضل القيادة الرشيدة لفخامة الرئيس علي عبدالله صالح التي تأخذ بالأسباب معززة بعزم هذا الشعب الكريم الذي يتنامى دوره لتسارع عجلة التنمية لتحقيق الطموحات ونحن سعداء بما تشهده الساحة اليمنية في هذا الاتجاه الطيب من خطوات محسوبة ومدروسة تدل على التخطيط السليم والسياسات الرشيدة فدعاء من الأعماق بمزيد التوفيق والنجاح والله الهادي إلى سواء السبيل".

صراع ثقافي

● وعن تطلعاته لما يمكن أن يخرج به المؤتمر من نتائج تخدم واقع العمل الثقافي العربي المشترك وتطوير الثقافة العربية البينية قال الدكتور المهدي امبيرش- أمين اللجنة الشعبية للثقافة في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى.. في حديث لـ(الثورة):

-"أحيي من خلالكم اليمن قيادة وحكومة وشعباً، واهنئهم بهذا المؤتمر الذي يعقد في مناسبات عزيزة على الشعب اليمني لها علاقة بحريته ولها علاقة باستقلاله.. طبعاً أعتقد أن التعويل على الثقافة في هذا الظرف شيء أساسي..

أولاً الصراع الذي يدور في العالم الآن هو صراع ثقافي وإن الأمم لا تهزم في هذه المعارك.. بل تهزم في ميدان الثقافة.. والكثير من الجيوش والدول هزمت عسكرياً ثم انتصرت ثقافياً..

والآن هناك تحديات العولمة واجتياز الحدود. وهناك خطر على الجانب التراثي الثقافي على كثير من الشعوب.. خاصة الشعوب التاريخية مثل الشعب العربي..

ونعتقد أن هذا المؤتمر يأتي في فترة مهمة وضرورية ونأمل أن نصل إلى نتائج عملية وإلى برامج عمل بالإمكان تطبيقها ومتابعتها..".

● كما تحدثت إلينا السيدة أسمى الخضر - وزير الثقافة في المملكة الأردنية الهاشمية مترجمة رؤاها وآمالها حول ما يمكن أن يتمخض عن المؤتمر قائلة:

-"أولاً تأكيد الموقف المبدئي بأهمية وضرورة العمل العربي المشترك وأهمية الثقافة كموضوع في القلب من الجوانب المختلفة التي ينبغي أن يركز عليها العمل العربي المشترك فنحن نعلم بأن الثقافة عمود فقري لعملية التنمية.. وهي مازالت قادرة على توحيد الهوية العربية الإسلامية الإنسانية.. ولا بد أن يتواصل هذا الدور وهذا الجهد من خلال مشاريع ملموسة يستطيع المواطن العربي أن يجد مصادر للثقافة العربية وأن يجد التواصل بين المثقفين العرب وبين الإبداعات العربية سواء كانت في مجال الفنون أو الآداب أو في مجال العلم أو الفكر وكل مجالات الإبداع..

نأمل أن يتم تبني المشاريع المطروحة على جدول أعمال هذا الاجتماع لأنها تحتاج إلى قرار أولاً، ثم بحث سبل تفعيل ما يتم الاتفاق عليه من حيث التطبيق ومن حيث إمكانية أن نرى هذه المشاريع مجسدة وقائمة وقابلة لأن تسهم بفعالية في تحقيق الأهداف التي ينعقد هذا المؤتمر من أجل تحقيقها ويتواصل انعقاده مرة كل سنتين..

نحن نعتقد أن هناك حاجة للربط بين الأطروحات النظرية التي نحن متفقون عليها..ولكننا بحاجة إلى ربطها بمشاريع تطبيقية قبل أن تثبت على الأرض..".

النظر إلى التطورات الراهنة

● كما كان للسيدة وزيرة الثقافة بجمهورية الجزائر كلمة قالت فيها:

- "أيها اليمن السعيد ادامك الله سعيداً ومدّ الله في كونك مهداً لحضارة الدنيا، وشكراً لأنك جمعتنا رغم أحزاننا ،ضممتنا على صدرك بعد أن خرجنا من حدادنا على الرئيس زايد بن سلطان آل نهيان والرئيس أبو عمار اللذين تركانا يتامى، ولكننا أشد قوة مما سبق لأننا اجتمعنا، في حجرك أيها اليمن السعيد.

كم أنا سعيدة أن التقي مجدداً مع الاخوة الوزراء المكلفين بالشئون الثقافية في الوطن العربي للتحاور والسعي سوية لصيانة وتمتين الفعل الثقافي في أوطاننا وإبرازه كركيزة للحفاظ على الهوية الثقافية العربية.

إن الحديث عن الهوية الثقافية في هذا الظرف بات أمراً مصيرياً رغم كل الصعاب التي تواجهنا.

فإذا نحن نظرنا إلى التطورات الراهنة على الساحة الدولية فإن قضية الهوية الثقافية تظهر من بين الرهانات الواجب مواجهتها إذا ما أردنا ضمان ديمومة إرثنا الثقافي العريق الذي يعتبر من بين محركات هويتنا وشخصيتنا.

إن لقاءنا اليوم يأتي في ظروف مميزة لما تشهده الساحة الدولية من أحداث وتطورات خطيرة ،خاصة ما يجري من أحداث أليمة في العراق الجريح وفلسطين الحزينة، ظرف يزيد أهمية لهذا العمل المشترك الرامي إلى توطيد الهوية الثقافية العربية في وقت يفرض على أمتنا مزيداً من الجهد والعمل المشترك لضمان وحدة كياننا ولإسماع صوتنا والوصول إلى تحقيق طموحاتنا.

إن عالمنا العربي مستهدف أكثر من أي وقت مضى في مقوماته الثقافية على مختلف الجبهات، وهو معرض لهزات تخلخل استقراره وتمنع تنميته وتهدد ديمومته ووجوده.

ولأن ديننا الإسلامي السمح الذي نعتنقه بعمق، بريء من كل ما يلصق به من تهم. ولأنه سمح فهو لا يتماشى مع دعاوى بعض الأطراف التي تريد أن تستغله في تبرير الإرهاب والعنف.

ولهذا وذاك، فقد بات من العاجل أن نقف ونؤسس معاً لعمل ثقافي مشترك، ومستمر يبعد ديننا الحنيف عن كل الشبهات.

ومن ناحية أخرى ولأن القضايا المرتبطة بالهوية والتنوع الثقافي قد أضحت تشكل رهاناً آخر قد يستعمل للمساس باستقرار ووحدة الشعوب، علينا أن نعمل معاً ما استطعنا إليه سبيلاً من أجل أن يكون التعدد الثقافي الذي تمتاز به شعوبنا عنصر ثراء والتقاء بل عنصر تلاحم".

إرساء قواعد متينة

● وأضافت وزيرة الثقافة الجزائرية قائلة:

- "إن المواضيع المدرجة في جدول أشغال هذا المؤتمر الموفر بالغة الأهمية لأوطاننا المدعوة إلى تقريب الرؤى وتسطير آفاق مستقبلية موحدة قائمة على مميزات ثقافية، مستمدة من تاريخ يرمي بجذوره في عمق تاريخ حضارتنا التي ألقت ببرنوس ظلها على الحضارة الإنسانية برمتها.

أجل إننا إذا ما توصلنا إلى إرساء قواعد متينة لتحريك الفعل الثقافي العربي ،نكون قد ساهمنا في وضع تصور مشترك لخطة تجعل من الثقافة مرجعاً من أهم المراجع للتعامل مع التطورات الراهنة المبنية على شمولية المبادلات التي تسعى إلى إدماج الفعل الثقافي في قالب المتاجرة بمعايير ومرجعيات خالية من كل مميزات الهوية الثقافية.

إن العولمة نظام قائم لا محالة، يجب علينا التأقلم معه والسعي إلى الاندماج فيه مع المراعاة والعمل سوياً على صون مميزات هويتنا الثقافية، إن مثل هذا الإنشغال لا يعبر عن رغبة في الانغلاق على النفس، بل قد يساعدنا على إبراز الفعل الثقافي كعامل مميز، وكعامل للتميز في وقت تحاول فيه دعائم العولمة فرض أنماط ومعايير مقننة، وهو ما لا تعمل به المكونات الثقافية التي تخضع فقط لمعيار الإلهام والإبداع.

لقد أصبح تكريس العمل الثقافي كوسيلة للتعبير عن هويتنا أمراً صعباً لما بلغناه من اختلال في التوازنات في توزيع دواليب الإنتاج والبث الثقافيين التي أصبحت احتكاراً في أيدي عدد قليل من كبريات الشركات العالمية.

ورغم ذلك فإننا ملزمون بالعمل المشترك من أجل إرساء استراتيجية ثقافية مشتركة توفر إطاراً لتطوير قدراتنا لتشجيع الطاقات الإبداعية بتزويدها بإمكانيات الإنتاج وقنوات البث والترويج.

إن مثل هذا العمل قد ينصب في إطار مسعى عام فرضته شعوب جنوب الكرة الأرضية في إطار السعي إلى إرساء قواعد مجتمع المعلومات القائم على العلم والمعرفة.

لقد أبرزت مجريات هذا العمل الذي أنجز في إطار الأمم المتحدة أن الفعل الثقافي رهان من الرهانات الأساسية الواجب كسبها في هذا الإطار، وهو لن يكسب إلا بتضافر وتوحيد الجهود في مسعى يقوم على التعاون على كل المستويات.

وكما نعلم كلنا فإن إقرار المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم (UNESCO) في أكتوبر ٢٠٠٣م للمعاهدة الدولية لحماية التراث الثقافي غير المادي جاء ثمرة جهد لدول العالم الثالث في سعيها إلى الحفاظ على مكوناتها الثقافية من تأثيرات العولمة.

يبقى أن هذا الجهد غير كاف ما لم تتم المصادقة بالعدد الكافي على هذه الاتفاقية التي لم تحظ برضى من الدول النامية، لما تخصصه من مكانة للتراث غير المادي الذي يعد رافداً أساسياً للتعبير الثقافي عند العديد من الشعوب ذات الحضارات العريقة.

لقد ورد في مشروع جدول أعمال مؤتمرنا موضوع السياحة الثقافية، وأود بهذا الخصوص دعوتكم إلى أن نولي أهمية مميزة له، نظراً لما يثيره من إشكاليات لها علاقة بحماية وترقية التراث الثقافي، لا سيما وأن تراثنا معرض لمحاولات التهريب والمتاجرة غير الشرعية بالممتلكات الثقافية في إطار الأنشطة السياحية.

وإن خطورة هذا الموضوع تستوجب تنسيقاً عربياً، واسمحوا لي إن دعوتكم في اقتراح كي تحدد محاور ومعالم هذا التنسيق في مؤتمر مشترك لوزراء الثقافة ووزراء السياحة العرب.

لقد أصبحت الملكية الفكرية وقضية حقوق المؤلف من الشروط المسبقة للتعاون والتبادل مع الهيئات الدولية، لا سيما تلك المعنية بالتجارة مثل المنظمة العالمية للتجارة.

إننا نرى في ذلك صالحاً لمبدعينا وفناننا الذين يستمدون الكل من عملهم وإبداعهم، وإن القرصنة والتحايل على حقوق المؤلف هي ظاهرة خطيرة قد تؤدي إلى إضعاف قدراتنا الإبداعية.

وإذا ما أردنا الخوض في هذا الموضوع فإننا نشير إلى أن المطلوب في يومنا هذا على المستوى الدولي ليس اعطاء حد أدنى للضمانات فقط وإنما جميع الضمانات من أجل حمايتنا للملكية الفكرية.

إننا مدعوون ككتلة عربية واحدة إلى توحيد تشريعاتنا المتعلقة بحقوق المؤلف والحقوق المجاورة باعتماد قانون نموذجي يشكل الحد الأدنى مما يتعين علينا اعتماده في قوانيننا الوطنية.

إن إنشاء سوق ثقافية عربية هو أمر حتمي وضروري إذا ما أردنا مواجهة تأثيرات العولمة وهيمنة الثقافات الغربية على شعوبنا. فلنا في رصيدنا الثقافي تراث عريق وطاقات إبداعية خلاقة قادرة على فتح فضاءات هامة للثقافة العربية في حوارها مع الثقافات الأخرى.

فهمنا للسوق الثقافية العربية يجعلنا نعتقد ونأمل أن القصد منها ليس تسويق المنتوجات الثقافية فحسب وإنما كذلك تشجيع الاستثمار في الصناعات الثقافية وتشجيع الإنتاج العربي المشترك.

قناعتنا راسخة بأن العالم العربي يزخر بالطاقات الإبداعية وبالإمكانيات اللازمة لوضع الأسس الأولى لهذه السوق الثقافية التي يستوجب إرساؤها إيجاد قاعدة صناعية ثقافية عربية مشتركة، تسخر للترويج للمنتوج الثقافي العربي لإبراز صوتنا وصورتنا في هذه "القرية الشاملة" التي آل إليها العالم. سوق قد تقدم الكثير في عدد من الميادين لا سيما التشغيل: فعلى ضوء دراسة أجريت في الجزائر بخصوص صناعة الكتاب، تبين أن هذه السوق قد توفر للجزائر ما لا يقل عن ٤٠٠.٠٠٠ منصب شغل.

إن الجزائر واعية تمام الوعي بعمق التحديات التي تواجهنا في جهدنا الرامي إلى تفعيل المكونات الثقافية في هذا الظرف الراهن.

هذا الوعي قائم على تصورنا للثقافة كعامل مميز تعبر به الشعوب عن خصوصياتها واختلافاتها في إطار تنوع ثقافي يساهم في إثراء وديمومة الحضارة الإنسانية.

إن الحفاظ على هذا التنوع الثقافي ليس بالأمر الهين، مما يعطي انشغالنا هذا طابعاً مميزاً ويدفعنا إلى تكثيف الجهود وتوحيد الصفوف لإيصال كل المشاريع إلى أرض الإنجاز خدمة لأمتنا وثقافاتنا.

كم يسرني وأنا وأنتم هنا، في دفء رحم الحضارة: اليمن السعيد، اخوة صادقين، أن ادعوكم بكل حميمية وصدق ومحبة لشعوبنا وثقافتنا وأحلامنا الكبيرة إلى حضور المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة الذي سيعقد في الجزائر بعد أسبوعين بحوله تعالى، لتتدارس أحد المواضيع الهامة على الساحة الدولية، وهو "التنوع الثقافي".

إذاً هلموا بنا من اليمن السعيد العتيد إلى جزائر الوئام والمصالحة جزائر العزة والكرامة.

دعم الشعب الفلسطيني

● من جانبه القى السيد محمد عبدالله أبو الحسن وزير الإعلام رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب دولة الكويت كلمة جاء فيها:

-"في مستهل أعمال هذا الملتقى الثقافي العربي الكبير، والذي يسعدني أن اشارككم أعماله وبرامجه الثقافية والفنية، والذي تستضيفه صنعاء العزيزة في اختتام أنشطتها بوصفها عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٤م، يطيب لي أن أنقل لكم خالص وأطيب تحيات حكومة وشعب دولة الكويت بوصفكم قادة للثقافة العربية تخططون لها وتضعون البرامج التي من شأنها الذود عنها والحفاظ عليها وعلى هوية الإنسان العربي الثقافية والحضارية.

لعلي أكون صائباً إذا قلت أن الخطط القومية والاتفاقيات الثقافية المدرجة على جدول أعمال مؤتمرنا هذا، مثل مشروع الاتفاقية العربية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة، ومشروع اتفاقية السوق الثقافية المشتركة، ومشروع الخطة القومية للسياحة القومية العربية، ومشروع الخطة الإطارية لتحقيق التكامل بين السياسات الثقافية والإعلامية في الوطن العربي، ستسهم بما لا يدع مجالاً للشك في تعزيز عرى التواصل والتوافق بين شعوب أمتنا العربية الواحدة، وتتيح المجال لها لاستشراف المستقبل بخطى ثابتة وواثقة من نفسها، تمكنها بإذن الله من تبوء المكانة المناسبة لها بين شعوب العالم المتحضر.

إن الظروف الدولية، واستمرار تداعياتها على منطقتنا العربية، لتحتم علينا دعم شعبنا الشقيق في الأراضي الفلسطينية، وتسخير إمكانيات الأمة كافة بغرض الحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية للإنسان العربي الفلسطيني في هذا الجزء العزيز على قلوبنا جميعاً.

إن مؤتمرنا هذا، إذ يناقش قضايا فكرية عربية ملحة، فإنه لينظر نظرة متعمقة لحال الثقافة والفكر والعلم، والذي تتسع دائرته باستمرار بسبب معطيات مناخ العولمة، مع ازدياد التحدي العالمي، الذي يصل في نظر الكثير من المثقفين إلى حد تهديد الثقافة والهوية الخاصة بكل مجتمع. ومهما يكن من أمر فإنني على ثقة كبيرة بقدرة مبدعينا ومفكرينا العرب على ولوج مختلف أنواع الصناعة الثقافية، والبرمجيات العالمية المتطورة.

إن مشروع خطة العمل الموضوعة حول دور الثقافة في الحفاظ على الهوية العربية، واختيار فلسطين العزيزة نموذجاً لها، سيكون بإذن الله نموذجاً للدرع الواقي من مختلف صنوف التهديدات المعلوماتية والثقافية والسلوكية العالمية، وأن ثقافتنا العربية العريقة ولغتنا العربية، لغة القرآن الكريم، ستكون هي الملاذ والحصن الحصين للحفاظ على هويتنا العربية، وتماسك مجتمعاتنا في فلسطين، وفي الخليج، وفي المغرب العربي الكبير، وكل جزء من أرضنا العربية.

في ختام كلمتي هذه لا يفوتني شكر الاخوة الأكارم في الجمهورية اليمنية، وعلى رأسهم معالي وزير الثقافة والسياحة الأخ الكريم خالد عبدالله الرويشان، لحسن الاستقبال والوفادة وكرم المعاملة، متمنياً لكم كل نجاح في أعمال مؤتمركم هذا".

تصوير/ عبدالله حويس